حين تتكلم الأرواح

قراءة في مرداد وأصداؤه الكونية

مزمل عبدالرحمن ✨ برعاية مدونة رواد الأعمال



حين تتكلم الأرواح: قراءة في مرداد وأصداؤه الكونية

مزمل عبدالرحمن



برعاية مدونة رواد الأعمال

✨ الإهداء ✨

إلى أوشو، الحكيم الذي علّمني أن الصمت لغة الأرواح،

وإلى جبران، الشاعر الذي جعل من الكلمة جناحًا يعلو بي نحو السماء،

وإلى ميخائيل، العارف الذي فتح لي باب مرداد لأعبر إلى الأبدية...

إليكم جميعًا، أنتم لستم أسماء في كتاب،

بل أنفاسٌ تسري في قلبي،

وأرواحٌ ثلاثة تضيء دربي،

وحبٌّ واحد لا ينفد.

"أرواح ثلاثة تتنفس في قلبي" ✨

"حبي العميق لأوشو وجبران وميخائيل ليس مجرد إعجاب، بل هو تماهي مع أرواح ثلاثة تتنفس في قلبي وتضيء دربي .. وكلما قرأت لهم شعرت أنني أرتشف من نبع واحد، نبع الحكمة التي تتجسد فيهم."

جدول المحتويات

جدول المحتويات

مقدمة الكتاب

أهمية كتاب مرداد لميخائيل نعيمة

يُعتبر كتاب مرداد للكاتب اللبناني ميخائيل نعيمة واحدًا من أبرز الأعمال الروحية والفلسفية في الأدب العربي الحديث، رغم أنه لم يحظَ بالانتشار الذي يستحقه مقارنة بأعمال جبران خليل جبران. كتاب مرداد ليس مجرد نص أدبي أو قصة خيالية، بل هو محاولة جادة لتقديم رؤية متكاملة عن الإنسان، الحياة، الله، والكون، في قالب حواري شعري يمزج بين الفلسفة، الصوفية، والحكمة العملية. من خلال شخصياته، وخصوصًا شخصية مرداد الحكيم، يعرض نعيمة أسئلة الوجود الكبرى بطريقة تجعل القارئ يتأمل بعمق في معنى الحياة والحرية والحب والموت.

أهمية الكتاب تكمن أولاً في الجرأة الفكرية للكاتب، حيث لم يكتف بتقديم تأملات سطحية، بل حاول الغوص في أعماق التجربة الإنسانية، وربطها بالبعد الروحي والغيب. إن قراءة مرداد تشبه رحلة روحية يتخللها تأملات عميقة، وليس مجرد استهلاك للأفكار المجردة. لقد استطاع نعيمة أن يقدم مفاهيم معقدة مثل الوحدة مع الله، الوعي الداخلي، والتحرر من الأنا بطريقة تصل إلى قلب القارئ قبل عقله.

إضافة إلى ذلك، يُعد الكتاب حلقة وصل بين الشرق والغرب، حيث يمزج بين الرؤية الشرقية للصوفية والتأمل، وبين لغة الحداثة العربية التي بدأ يتبناها مثقفو لبنان وسوريا في بداية القرن العشرين. هذا المزج الفريد يجعله نصًا يمكن أن يُقرأ كمرجع روحي عالمي، وليس فقط كعمل أدبي.

الجانب الثاني الذي يجعل مرداد مهمًا هو تأثيره على القراء والمفكرين. فقد أشار أوشو، الحكيم والناقد الروحي الشهير، إلى أن نعيمة استطاع بالكلمات أن يقترب من عوالم الغيب، وأن يجعل القارئ يلمس الحقيقة الروحية بطريقة مباشرة، كما لو أن الكتاب ليس فقط للقراءة، بل للتجربة الروحية الحية. وبهذا، يصبح الكتاب أكثر من مجرد نص، بل تجربة روحية متكاملة. أوشو نفسه اعتبره نصًا يوازي الكتب المقدسة من حيث العمق والقدرة على نقل الحكمة، وقال إنه لم يقرأ الكثير من الكتب التي تستطيع أن تقرب الإنسان من الوجود بطريقة مرداد.

كما يتميز الكتاب باللغة الرمزية والشعرية، التي تجعل الأفكار العميقة قابلة للتأمل الذهني والوجداني في الوقت نفسه. فالرموز التي يستخدمها نعيمة تساعد القارئ على الخروج من التفكير العقلاني البحت، والاقتراب من الفهم الحدسي. ومن هنا، يُصبح مرداد نصًا عالميًا لا يقتصر على ثقافة محددة، بل يلمس أي عقل يبحث عن الحكمة والوجود.

علاوة على ذلك، فإن الكتاب يتحدى العقل السائد والقيود الدينية والاجتماعية. فهو يفتح النقاش حول قضايا مثل الحرية الحقيقية، الحب غير المشروط، الوحدة مع الكون، والموت بوصفه تحولاً وليس نهاية. هذه الجرأة في الطرح جعلت من الكتاب نصًا ثوريًا في الفكر الروحي العربي، لكنه في الوقت نفسه أدى إلى تجاهله أو التعتيم عليه في بعض الأوساط، خصوصًا في العالم الإسلامي، حيث كان الغموض الروحي والأسلوب الرمزي يشكل تحديًا للمفسرين التقليديين.

تكمن أهمية مرداد أيضًا في قدرته على الربط بين المعرفة والفعل الروحي. فالكتاب لا يكتفي بتقديم أفكار فلسفية مجردة، بل يربطها بأسلوب حياة، وبالتجربة اليومية للإنسان. يعلمنا أن الحكمة الحقيقية ليست فقط في قراءة النصوص أو جمع المعلومات، بل في تحويل هذه المعرفة إلى تجربة حياتية يعيها الإنسان ويطبقها في حياته اليومية. بهذا المعنى، يكون مرداد ليس مجرد كتاب للتأمل، بل دليلًا عمليًا لتحقيق الذات والتحرر الداخلي.
كما يُظهر الكتاب توازنًا بين الفكر الروحي واللغة الأدبية، مما يجعله نصًا ممتعًا وجذابًا، سواء للباحث الروحي أو القارئ العام. استخدام الحوار الرمزي بين شخصيات الكتاب، خصوصًا بين مرداد وتلاميذه، يمكّن القارئ من التفاعل مع النص، وكأن الحكمة تُقدّم له مباشرة، وليس مجرد سرد نظري.

أخيرًا، تعتبر المقدمة لهذه الدراسة فرصة لتسليط الضوء على أهمية إعادة اكتشاف كتاب مرداد، وفهم مكانته في الأدب العربي الحديث، وتأثيره على الفكر الروحي العالمي. من خلال هذه الدراسة، سنحاول تقديم تلخيص شامل لأفكار الكتاب، إبراز رؤية أوشو حوله، وتحليل أسباب التعتيم على الكتاب في العالم الإسلامي، مع إظهار قيمته كمرجع روحي عالمي يمكن أن يفتح الأذهان والقلوب على حد سواء.

القسم الأول:
الكاتب وكتاب مرداد

ميخائيل نعيمة (1889 – 1988) هو واحد من أبرز الأدباء والمفكرين اللبنانيين في القرن العشرين، وأحد أعمدة الرابطة القلمية التي ضمت جبران خليل جبران وناشطين عربًا مهتمين بالنهضة الفكرية والثقافية. نشأ نعيمة في بيئة جبلية صغيرة، وكان مولعًا بالقراءة منذ طفولته، حيث جمع بين التراث الشرقي والمناهج الغربية الحديثة، مما أكسبه منظورًا عالميًا وحسًا فلسفيًا عميقًا.

تأثر نعيمة بفلسفة جبران بشكل كبير، لكن كتابه مرداد يظهر أنه تجاوز التأثر التقليدي، ليصوغ صوتًا فريدًا يعكس تجربة روحية وفكرية متكاملة. في مرداد، نجد خلاصة رؤيته للعالم: الإنسان، الله، الحب، الحرية، والموت. الكتاب ليس رواية تقليدية، بل نص حواري رمزي، يشبه إلى حد كبير نصوص المتصوفة، حيث يُطرح السؤال ويُكشف الإجابة بطريقة عميقة ومرنة تتيح للقارئ الغوص في المعاني والتأمل فيها.

ويعد هذا الأسلوب في مرداد واحدًا من الأسباب التي تجعل النص يبدو معقدًا للبعض، لكنه أيضًا مصدر قوته: فالكتاب لا يقدم الحقيقة مكتملة، بل يوجه القارئ نحو اكتشافها داخل نفسه. وهذا يجعل الكتاب تجربة شخصية لكل قارئ، تختلف باختلاف مستوى وعيه وقدرته على التأمل.

كتاب مرداد نُشر في فترة شهدت تحولات كبيرة في الفكر العربي، حيث كان التفاعل بين الحداثة الغربية والفكر العربي التقليدي في أوجهه. كتب نعيمة كتابه في سياق سعيه لإيجاد لغة عربية حديثة تمكّنه من التعبير عن الحكمة الروحية، بعيدًا عن الأساليب التقليدية الجامدة. استخدامه للحوار الرمزي والشعرية في السرد جعل النص مرنًا، قادرًا على التفاعل مع العقل والقلب معًا، وليس مجرد استهلاك منطقي.

مرداد، الشخصية المركزية في الكتاب، يمثل الحكيم المتأمل، الذي يطرح الأسئلة الكبرى عن الكون والإنسان والوجود، ويجيب بطريقة تجعل القارئ يكتشف الإجابات بنفسه. هذه الطريقة تشبه فلسفة السقراط في الحوار، لكنها مزودة بلمسة صوفية عربية أصيلة.

القسم الأول:
الكاتب وكتاب مرداد

علاوة على ذلك، يقدم الكتاب معرفة متكاملة تشمل الروح والعقل والوجدان، ويطرح مفاهيم متقدمة مثل الحرية الحقيقية، الحب غير المشروط، الصمت، الزمن، والموت بوصفه تحولاً وليس نهاية. هذه المواضيع تجعل من الكتاب نصًا يتجاوز الأدب التقليدي ليصبح تجربة روحية حقيقية.

أحد الجوانب المهمة في مرداد هو عالم الغيب والروحانية الذي يعالجه النص. نعيمة استطاع أن يقترب بالكلمات من ما لا يُرى، ليجعل القارئ يلمس هذه الحقائق الداخلية بطريقة غير مباشرة لكنها قوية جدًا. هنا يظهر رأي أوشو، الذي أشاد بالكتاب ووصفه بأنه واحد من النصوص القليلة في العالم العربي التي استطاعت تقريب الغيب بالكلمات.

الكتاب يستخدم لغة رمزية غنية، تساعد على تجاوز العقلانية البحتة، والانفتاح على البعد الحدسي للمعرفة. مثلاً، الحوارات التي تدور بين مرداد وتلاميذه تتناول الحب، الحرية، والموت، لكنها لا تقدم حلولًا جاهزة، بل تحفّز القارئ على البحث الداخلي. هذه الطريقة تجعل النص نصًا حيًا، يختلف تأثيره من شخص لآخر بحسب وعيه وتجربته الداخلية.

الجانب الأخير في هذا القسم يركّز على مكانة الكتاب بين الأدب العربي والروحي العالمي. على الرغم من أن مرداد لم يحظَ بشهرة واسعة مثل أعمال جبران، إلا أنه يمثل جسرًا بين الشرق والغرب، بين الفلسفة الصوفية والتفكير الحداثي. اللغة العربية التي استخدمها نعيمة حديثة، لكنها تحمل نغمة روحانية قديمة، تمكّن القارئ من التواصل مع النص على مستويات متعددة: عاطفية، فكرية، وروحية.

إضافة إلى ذلك، أسلوب نعيمة في تقديم المعرفة لا يجعل القارئ مجرد مستهلك، بل مشاركًا نشطًا في العملية التأملية. ومن هنا نفهم لماذا اعتبر أوشو أن الكتاب قادر على تقريب الغيب، ولماذا يعتبر نصًا عالميًا بامتياز، رغم محدودية انتشاره في العالم الإسلامي والعربي.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الله والوجود

يبدأ كتاب مرداد بالحديث عن الله والوجود، حيث يطرح مرداد فكرة أن الله ليس كائنًا خارجيًا أو شخصًا منفصلًا عن العالم، بل هو الجوهر الذي يملأ كل شيء. يرى نعيمة أن الإنسان لا يستطيع فهم الله بالعقل فقط، بل عبر التجربة الداخلية والتأمل العميق.

في هذا السياق، أوضح أوشو أن مرداد يقدم رؤية استثنائية للوجود، حيث لا انفصال بين الله والكون والإنسان. كل شيء جزء من وحدة كلية، والوعي بهذه الوحدة هو جوهر الحكمة. هذا المفهوم يدعو الإنسان إلى اكتشاف ذاته الداخلية والارتباط الروحي بالعالم من حوله، بعيدًا عن المظاهر السطحية.

كما يسلط الكتاب الضوء على مفهوم الغيب:
الأشياء غير المرئية ليست بعيدة عن الإنسان، بل يمكن إدراكها عبر الحس الداخلي والتأمل. هذا ما جعله نصًا روحانيًا فريدًا، إذ يعلم القارئ أن الحكمة لا تكمن في المعرفة النظرية فقط، بل في تجربة العيش المتناغم مع قوانين الوجود.

في هذا الإطار، يعتبر مرداد أن الهدف الأساسي للإنسان هو استيقاظ الروح والارتباط بالجوهر الإلهي، وليس مجرد السعي وراء الشهوات أو القيم الاجتماعية المادية. هذه الرؤية الفلسفية العميقة تضع الكتاب في مصاف النصوص العالمية الكبرى التي تجمع بين الروح والفكر في آن واحد، وتجعل من القارئ شريكًا نشطًا في رحلة الاكتشاف الروحي.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الإنسان والطبيعة البشرية

يكرّس كتاب مرداد مساحة واسعة لتفسير طبيعة الإنسان، ويطرح تساؤلات حول الهدف من الوجود والوعي الذاتي. يرى مرداد أن الإنسان ليس مجرد جسد وفكر، بل روح أزلية تمر بتجارب متعددة، وكل تجربة تهدف إلى تحقيق النمو الروحي.

أحد أهم مفاهيم الكتاب هو أن الإنسان يحمل في داخله بذرة الإلهية، لكنها محجوبة بالأنانية، الخوف، والتعلق بالماديات. ولذا، يشدد الكتاب على ضرورة التأمل والانفصال عن الأنا لاكتشاف هذه البذرة وتفعيلها.

كما يتطرق الكتاب إلى العلاقات الإنسانية، ويشدد على أن الحب الحقيقي هو الطريق لمعرفة الذات. الحب هنا ليس مجرد شعور عاطفي، بل وسيلة لإزالة الحواجز بين الأنا والآخر، ليشعر الإنسان بوحدته مع الكون كله.

أوشو علق على هذا الجانب بأن مرداد يقدّم نموذجًا للإنسان المتكامل الذي يعيش في انسجام داخلي وروحي مع العالم، ويصبح كل تصرف له انعكاسًا للوعي الروحي.

بالإضافة إلى ذلك، يوضح الكتاب أن الإنسان قادر على تجاوز الجهل والخوف عبر التجربة الداخلية، فالوعي بالنفس والكون هو ما يمنحه الحرية الحقيقية، وليس مجرد التمتع بالحقوق الاجتماعية أو المظاهر الخارجية للسلطة والنجاح.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الحب والاتصال الروحي

يخصص كتاب مرداد فصولاً كبيرة لموضوع الحب، حيث يُنظر إليه كطريق أساسي للتحرر والارتباط بالوجود. يوضح مرداد أن الحب هو ذوبان الكثرة في الوحدة، أي تجاوز الأنا والانفتاح على الآخر والكون.

الكتاب يميز بين الحب العاطفي أو التملك، وبين الحب الحقيقي الذي يتجاوز الزمن والمكان ويجمع بين القلوب في وعي واحد. أوشو اعتبر هذا الجانب في مرداد من أعمق التأملات الروحية، إذ يرى أن الحب الحقيقي هو مفتاح الوصول إلى الذات العليا وفهم الغيب.

كما يربط الكتاب بين الحب والتجربة اليومية، مؤكدًا أن الحب ليس شعورًا لحظيًا، بل ممارسة مستمرة للوعي والتقبل والتفاهم. يركز مرداد على أن الحب لا يتحقق بالتحكم أو التوقع، بل بالتحرر من الأنا وإدراك الروح في كل شيء.

في هذا الإطار، يصبح الحب أداة للتأمل العملي، حيث تتجاوز العلاقة بين البشر حدود المادية، ليصبح الحب لغة حياة، لغة صمت، ولغة إدراك داخلي مستمر.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الصمت كطريق للمعرفة

من أهم التعاليم التي يبرزها مرداد هو قيمة الصمت. يرى نعيمة أن الصمت ليس غياب الكلام فقط، بل هو حالة وعي عميقة يُتاح فيها للإنسان أن يسمع صوت داخله وصوت الوجود. الصمت، بهذا المعنى، هو لغة الروح التي تفوق كل لغات البشر.

في الكتاب، يوجّه مرداد تلاميذه إلى أن الحكمة لا تُنال بكثرة الكلام أو الجدل، بل بالإنصات العميق. كثير من الحقائق الروحية لا يمكن صياغتها بالكلمات، لأن اللغة محدودة، أما التجربة الداخلية فهي لا متناهية.

أوشو علق على هذا المبدأ قائلاً إن مرداد يتفق مع تقاليد الحكمة العالمية: من البوذية إلى التصوف الإسلامي، حيث يُعتبر الصمت بابًا للحضور الروحي. وأوضح أن الإنسان الذي يهرب من الصمت يظل أسير ضوضاء العقل والأفكار، بينما الذي يحتضن الصمت يبدأ في لمس الغيب.

هذا الصمت ليس عزلة سلبية، بل مشاركة واعية في الوجود. هو صمت ممتلئ، يحمل معنى وتجلّيًا، يفتح للقلب أبواب الفهم العميق.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الحرية والتحرر من الأنا

يركّز مرداد على الحرية الحقيقية باعتبارها جوهر التجربة الإنسانية. لكن الحرية عند نعيمة ليست مجرد حرية سياسية أو اجتماعية، بل حرية داخلية من الأنا، الخوف، والرغبات.

مرداد يبين أن الأنا هي السجن الأكبر الذي يعيش فيه الإنسان. فهي تخلق وهم الانفصال عن الآخرين وعن الوجود. ومن هنا، كل صراع أو ألم في الحياة يعود إلى تمسك الإنسان بأناه.

أوشو وجد أن هذا الطرح قريب جدًا من الفلسفة الزن والبوذية:

حيث لا يتحرر الإنسان إلا إذا تخلّى عن ذاته الصغيرة واكتشف ذاته الكونية. الحرية في مرداد هي التحرر من العبودية الداخلية، ليصبح الإنسان منسجمًا مع القوانين الكونية.

الحرية، إذن، ليست أن يفعل الإنسان ما يشاء، بل أن يتوافق مع الحقيقة الداخلية، ويعيش بلا خوف ولا قيد.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الزمن والوهم

من القضايا الفلسفية التي يناقشها مرداد بإسهاب مسألة الزمن. يرى أن الزمن كما نعيشه – ماضٍ وحاضر ومستقبل – ليس سوى وهم يصنعه العقل البشري. الحقيقة الوحيدة هي "الآن".

يقول مرداد إن الماضي مجرد ذكرى، والمستقبل مجرد توقع، أما الوجود الحقيقي فلا يُعاش إلا في اللحظة الراهنة. ومن هنا، فإن الانشغال بالماضي أو القلق من المستقبل يحرم الإنسان من عيش حقيقته الروحية.

أوشو شدّد على أن هذا الفهم للزمن يجعل مرداد نصًا ثوريًا في الفكر العربي، لأنه يضع الإنسان في مواجهة مباشرة مع الآن الأبدي. هذا المفهوم قريب من التعاليم الروحية الكبرى، مثل تعاليم "إيكهارت تول" لاحقًا.

عندما يدرك الإنسان أن الزمن وهم، يتحرر من الخوف والندم، ويعيش وعيه كاملًا في اللحظة الحاضرة. وهذا الإدراك يفتح أبواب الغيب لأنه يزيل الحواجز التي يخلقها العقل.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الحياة والموت

يطرح مرداد رؤية عميقة للحياة والموت. فهو يرى أن الموت ليس نهاية، بل تحول من شكل إلى آخر. الروح أبدية، والجسد مجرد وعاء مؤقت يتيح للروح أن تعبر عن ذاتها.

في الحوار، يوضح مرداد لتلاميذه أن الخوف من الموت ناتج عن الجهل بحقيقة الوجود. عندما يدرك الإنسان أن الموت جزء من دورة الحياة، فإنه يتصالح معه بل ويحتضنه.

أوشو أُعجب بهذا الطرح، معتبرًا أن نعيمة استطاع أن يقترب جدًا من جوهر الحكمة الشرقية التي ترى أن الموت ولادة جديدة، وأنه ليس عدواً بل معلمًا.

بهذا الفهم، لا يعود الإنسان أسير الخوف من الفناء، بل يعيش حياة أكثر امتلاءً وحرية، لأنه يعرف أن وجوده لا يمكن أن يُمحى.

القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

المعرفة والجهل

ينتقد مرداد المعرفة السطحية التي يكتسبها الإنسان عبر القراءة والجدل، ويؤكد أن الحكمة الحقيقية لا تأتي من الخارج، بل من الداخل. فالمعرفة التي لا تُترجم إلى تجربة داخلية تبقى مجرد وهم.

يرى نعيمة أن الإنسان كثيرًا ما ينخدع بالمظاهر: كلمات، ألقاب، شهادات... لكنه يفقد الجوهر. ولذلك يشدد مرداد على أن الجهل بالذات هو أصل كل جهل، أما معرفة الذات فهي مفتاح كل الحكمة.

أوشو علق قائلاً إن هذا الجانب جعل مرداد نصًا نادرًا، لأنه يحذر القارئ من أن يظن أنه بلغ الحكمة لمجرد أنه قرأ الكتاب. الحكمة الحقيقية لا تتحقق إلا حين يغوص القارئ في نفسه ويكتشف النور الداخلي.

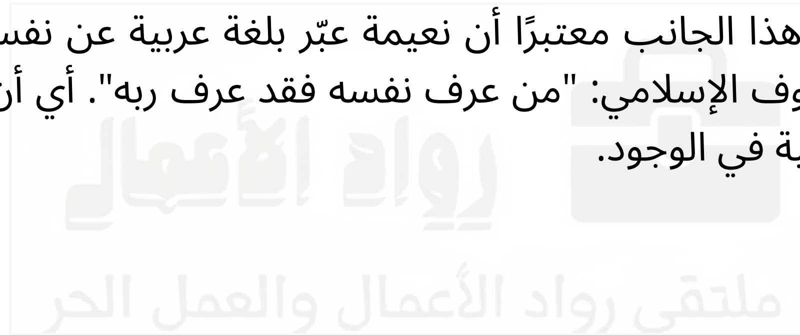
القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الوحدة الكونية

من أهم محاور الكتاب فكرة الوحدة. يؤكد مرداد أن كل الكائنات مرتبطة بخيط واحد من الوجود، وأن الانفصال وهم تخلقه الأنا. من هنا، كل عداء أو صراع بين البشر هو جهل بالحقيقة العميقة لوحدتهم.

الوحدة هنا ليست فكرة فلسفية مجردة، بل تجربة حية: أن ترى نفسك في الآخر، وأن تشعر بالكون كامتداد لوجودك.

أوشو أثنى على هذا الجانب معتبرًا أن نعيمة عبّر بلغة عربية عن نفس التجربة التي نجدها في التصوف الإسلامي: "من عرف نفسه فقد عرف ربه". أي أن إدراك الوحدة هو إدراك الألوهية في الوجود.



القسم الثاني:
تلخيص تعاليم كتاب مرداد

الطريق الروحي العملي

في الختام، لا يترك مرداد القارئ في متاهة الفلسفة فقط، بل يوجّهه إلى طريق عملي:

ممارسة الصمت والتأمل.

التحرر من الأنا والخوف.

عيش اللحظة الحاضرة.

الحب كطريق للاتحاد بالوجود.

قبول الموت كجزء من دورة الحياة.

هذه ليست وصايا جامدة، بل مفاتيح لتجربة داخلية حيّة. وهنا يكمن سر الكتاب: أنه ليس مجرد أدب، بل دعوة للسير في طريق الروح.

أوشو قال إن مرداد كتاب لا يُقرأ مرة واحدة، بل هو نص يعود إليه القارئ مرارًا، وفي كل قراءة يكتشف أعماقًا جديدة.

القسم الثالث:
رأي أوشو في كتاب مرداد

مكانة الكتاب عند أوشو

أوشو، الفيلسوف والمعلم الروحي الهندي، لم يكن يميل إلى الثناء على كثير من الكتب العربية، إذ كان يرى أن معظمها يظل حبيس الأدب السطحي أو الفكر النظري. لكن استثناءه الأبرز كان كتاب "مرداد" لميخائيل نعيمة، حيث قال عنه إنه واحد من النصوص النادرة التي استطاعت تقريب الغيب بالكلمات.

أوضح أوشو أن نعيمة في مرداد لم يكتب رواية أو نصًا فلسفيًا بالمعنى التقليدي، بل قدّم مرآة روحية يستطيع القارئ أن يرى نفسه من خلالها. وأكد أن الكتاب ليس مجرد نص للقراءة، بل تجربة حية تتطلب الانفتاح الداخلي.

بالنسبة له، مرداد يقف في مصاف النصوص العالمية الكبرى مثل الطاو تي تشينغ والإنجيل والأوبانيشاد. ورأى أن نعيمة، رغم أنه ينتمي إلى الشرق العربي، استطاع أن يكتب بلغة إنسانية كونية، قادرة على مخاطبة العقل الغربي والروح الشرقية في آن واحد.

لماذا انبهر أوشو بالكتاب؟

أحد الأسباب التي جعلت أوشو ينبهر بـ مرداد هو عمقه الروحي. فالكتاب لا يقدّم تعاليم جاهزة أو نصائح سطحية، بل يفتح أبواب التأمل العميق. أوشو كان يرى أن معظم الناس يقرأون الكلمات على السطح، بينما نعيمة كتب بطريقة تجعل القارئ يغوص في الأعماق.

قال أوشو في أحد محاضراته إن الناس تعودوا أن يبحثوا عن الجواهر في السطح، لكن الحقيقة أن الجواهر مدفونة في الأعماق، وكتاب مرداد دليلٌ لمن يريد الغوص.

السبب الثاني هو أن الكتاب يُقدّم صورة متكاملة للوجود: الله، الإنسان، الزمن، الموت، الحب... كلها مترابطة ضمن رؤية وحدة كونية. هذا التوازن بين الفكر والروح هو ما جعله عند أوشو نصًا لا يُقدّر بثمن.

القسم الثالث:
رأي أوشو في كتاب مرداد

مرداد والمقارنة مع النبي

عندما قارن أوشو بين النبي لجبران ومرداد لنعيمة، أشار إلى أن كلا الكتابين يمثلان ذروة الأدب العربي الحديث في بعده الروحي. لكنه أوضح أن هناك فرقًا:

النبي يحمل نغمة شعرية ملهمة، لكنه في النهاية يظل أقرب إلى الخطاب الأدبي الجميل.

مرداد، بالمقابل، يتجاوز الأدب ليصبح كتاب حكمة عملية يفتح أبواب التجربة الروحية.

أوشو اعتبر أن جبران قدّم رسالة للقلوب، بينما نعيمة قدّم طريقًا للعقول والأرواح معًا. ولهذا قال إن مرداد كتاب يحتاج إلى قراءة متكررة وتأمل مستمر، لأنه كلما تعمق القارئ وجد فيه مستويات جديدة من المعنى.

القسم الثالث:
رأي أوشو في كتاب مرداد

أوشو ورؤية مرداد للغيب

من أكثر النقاط التي جذبت أوشو هي قدرة مرداد على الحديث عن الغيب واللامرئي بلغة مفهومة. أوشو نفسه كان يسعى في محاضراته إلى تقريب الغيب عبر التأمل والتجربة، ورأى في نعيمة شريكًا في هذا المسعى.

قال إن نعيمة لم يقع في فخ الغموض المفتعل أو الفلسفة المعقدة، بل استخدم لغة بسيطة لكنها محمّلة بالمعاني. وهذا ما جعله أقرب إلى القلوب والأرواح.

أوشو أشار أيضًا إلى أن الغيب لا يُختزل في ما وراء الطبيعة فقط، بل هو البعد الداخلي للإنسان:
الروح، الحب، الحرية، الصمت. وهذه المعاني صاغها نعيمة في مرداد بمهارة جعلت أوشو يعتبر الكتاب تحفة نادرة.

لماذا أوصى أوشو بقراءته؟

في ختام حديثه عن مرداد، أوصى أوشو أتباعه وقرّاءه بقراءة الكتاب مرارًا. قال إن مرداد ليس كتابًا للقراءة السريعة، بل نص للتأمل والعيش معه. كل فصل فيه بمثابة باب يفتح على تجربة داخلية.

وأكد أن أهمية الكتاب تكمن في أنه لا يحصر الإنسان في عقيدة أو مذهب، بل يوجّهه نحو ذاته الداخلية حيث يسكن النور الحقيقي. وهذا جعله عند أوشو نصًا عالميًا يتجاوز الحدود الدينية والثقافية.

لذلك، يرى أوشو أن مرداد هو هدية من الشرق العربي إلى الإنسانية جمعاء، وأنه من المؤسف أنه لم ينل في العالم الإسلامي ما يستحق من الاهتمام والانتشار.

القسم الرابع :
لماذا التعتيم على كتاب مرداد في العالم الإسلامي؟

1- الإطار العام والسياق التاريخي والثقافي

عند البحث عن أسباب تراجع حضور مرداد في المشهد الثقافي الإسلامي، من المفيد أن نبدأ بالإطار التاريخي:

مرداد كُتب في بدايات القرن العشرين في بيئة فكرية لبنانية متحرّرة نسبيًا، تصالحت فيها الحساسية الشرقية مع اكتشافات الحداثة الغربية. لكن العالم الإسلامي آنذاك — وفي عقود تلتها — عرف تقلبات سياسية واجتماعية وثقافية (استعمار، نهضة قومية، صعود أنظمة سياسية متنوعة، وحركات إصلاحية دينية) أثّرت في أولويات القراءة والنشر.

في هذا المناخ، واجهت نصوص ذات طابع روحاني رمزي عميق صعوبة في التشبّع الشعبي والمؤسساتي، لأن الانشغال كان غالبًا سياسياً أو قومياً أو تعليمياً. كذلك، اهتمام المدارس والجامعات بالأدب الكلاسيكي والموضوعات القومية واللغوية جعل الكتب الروحية الرمزية خارج دائرة المناهج الرسمية والبحث الأكاديمي، وهذا يؤثر مباشرة على إشاعة العمل وانتشاره بين الأجيال اللاحقة.

بالتالي، التعتيم ليس بالضرورة مؤامرة مقصودة، بل هو نتيجة تراكب عوامل تاريخية وثقافية — تغيّرت الأولويات الجماعية والمؤسساتية فأبعدت نصوصًا عميقة عن دائرة الانتباه العام.

2- الأسباب العقائدية والدينية (الحساسية تجاه «الغيب»)

ثاني عوامل مهمة هي الحساسية الدينية:
مرداد يتعامل مع الغيب، الوحدة الإلهية، وتجارب باطنية بلغة رمزية قد تبدو لبعض قرّاء التيار التقليدي غير محدّدة الشكل الكلامي اللازم لتحديد حدود العقيدة. في مجتمعات يحكم فيها الخطاب الديني التقليدي قوائم المشروعية، أي نص يقرأ كـ«تذويب» للحدود بين الخالق والمخلوق أو يقدّم رؤى تبدو كقرب لاهوتيّ (panentheistic/pantheistic) يثير الشك والريبة عند بعض الجهات.

القسم الرابع :
لماذا التعتيم على كتاب مرداد في العالم الإسلامي؟

3- الأسلوب الأدبي والبلاغي: رمزية عميقة وصعوبة الوصول

عامل آخر واضح: أسلوب نعيمة في مرداد رمزي وتأملي للغاية. الكتاب لا يقدم «حكمًا مباشرة» بل يطرح حوارات تتطلب قدرة على التأمل والقراءة الباطنية. في بيئة قراءة جماهيرية أكثر ميلاً للسرد المباشر أو الرواية أو المقال الصحفي السهل، نصوص رمزية عميقة تصبح أقل جاذبية للتيار العام.

نقطة مهمة:

عند غياب شروح ومقدّمات تفسيرية أو طبعات مشروحة ومبسطة، يفقد القارئ العام الخيط وينصرف. بينما أعمال مثل جبران (بعضها على الأقل) أسهل على مستوى الإيحاء الشعري والاقتباس، مرداد يحتاج قارئًا راغبًا في «التدريب الروحي» على القراءة نفسها. غياب دراسات نقدية وتعليقات ميسّرة في العالم العربي ساعد على بقائه في هامش الاهتمام.

4- عوامل سياسية ونشرية وإعلامية

المنظومة السياسية والإعلامية لها دور واضح:
في مراحل وسياسات مختلفة، كان للنشر الرقابي، للتركيز على منجزات قومية أو أيديولوجية، وللمراقبة الفكرية أثر في أي كتب تُروّج عموماً أو تُهمش. إذا اعتُبرت قراءة نصّ ما قد تشجّع على «مستقلّة روحية» أو تشكك في مرجعيات رسمية، فالمؤسسات الرسمية أو دور النشر قد تتجنب تضخيمه تجنبًا للمتاعب.

من ناحية أخرى، سوق النشر نفسه يلعب دوره: دور النشر توزّع مواردها على ما يبيع بسهولة، وعلى ما تدرّ ربحًا سريعًا أو تلقى قبولاً من الجمهور. الكتب العميقة التي تحتاج «تثقيفًا» للقارئ لا تُعاد طباعتها بنفس السرعة ما لم توجد مبادرات ثقافية أو أكاديمية تدفعها. الإعلام الثقافي (الجرائد، التلفزيون، الإذاعة، ا الآن شبكات التواصل) لو لم يقدّم العمل ويثيره، يبقى غير حاضر في وعي الناس.

5- النسيان الأكاديمي والافتقار إلى النقد المؤسسي

نقطة منهجية تستحق التوقّف: انتشار نص ثقافي يتعزز عندما تدخلَه الجامعات، تُكتب عنه رسائل ماجستير ودكتوراه، وتُنظّم حوله ندوات ومؤتمرات. في حالة مرداد، غياب هذا النوع من الاهتمام الأكاديمي (نظري أو تطبيقي) يعني أن الكتاب لا يحصل على «شهادة بقاء» في مرجعيات الأدب والدراسات الدينية.

أسباب هذا الغياب متعددة: ربما لأن الباحثين كانوا يتجهون نحو موضوعات أخرى (الوطن، اللغة، النهوض)، أو لأن الذين يكتبون في الروحانيات يتصرفون خارج إطار الجامعات. كذلك، افتقار الترجمات الحديثة أو الطبعات المحققة يجعل العمل أقل جاذبية للمنهج الأكاديمي. وبدون هذا الغطاء المؤسسي، يظل الكتاب حبيس دوائر محدودة من القراء والمتخصصين.

6- النتائج، الفرص، وكيفية استعادة الحضور

التعتيم على مرداد له نتائج عملية:
فقدان مصدر روحي مهم عن قرّاء يُعانون من فراغ إرشادي، وإضعاف الجسر الثقافي بين التجارب الروحية العربية ونخب عالمية مهتمة بالحكمة. لكن الأمر ليس مستحيلاً: استعادة الحضور تحتاج لستّ خطوات عملية متزامنة:
(1) طبعات محققة ومشروحة تسهّل القراءة،
(2) ترجمات وتعليقات باللغات العالمية لجذب اهتمام خارجي ثمّ عودة الضوء على الأصل،
(3) إدراج الكتاب كمادة اختيارية في برامج دراسات الأدب والفكر والدين،
(4) ندوات وورش قراءة مشتركة بين المثقفين والدعاة المتصوفين والمتأملين،
(5) انتاج محتوى رقمي مبسط (حلقات بودكاست، فيديوهات قصيرة، تسجيلات صوتية) لِيُعرّف جيل الشباب بالمضمون، و
(6) فتح حوار مع رجال الدين التقدميين لبيان أن البعد الروحي في مرداد لا يهدف إلى مسّ المسلّمات الشرعية بل إلى تثوير الوعي الداخلي.

القسم الرابع :
لماذا التعتيم على كتاب مرداد في العالم الإسلامي؟

باختصار:

التعتيم ناجم عن تراكب أسباب عقدية، أسلوبية، مؤسساتية وسياسية، لكن إعادة الاهتمام ممكنة بمقاربة استراتيجية تجمع بين الترقيم الأكاديمي، التبسيط الإعلامي، والحوار العقلاني مع التيارات الدينية والثقافية. هل تود أن أضع لك الآن خطة عملية مفصّلة (مقترح مشروع) لإعادة نشر وترويج مرداد في العالم العربي — تشمل خطوات نشر، ترجمة، تدريس، وتسويق ثقافي؟



القسم الخامس:
القيمة العالمية لكتاب مرداد

يُعدّ كتاب مرداد من النصوص النادرة التي كسرت حدود الزمان والمكان، فهو ليس مجرد مؤلف فلسفي أو تجربة أدبية، بل هو دعوة إنسانية كونية إلى إعادة اكتشاف الذات والوجود. إذا نظرنا في مضمونه نجد أنه لا يقتصر على خطاب خاص ببيئة ميخائيل نعيمة أو بجيله، بل يتجاوز ذلك ليصبح خطابًا عالميًا موجّهًا إلى الإنسان في كل مكان.

أحد أهم أسباب قيمته العالمية هو أن نعيمة استطاع أن يمزج بين التراث الروحي الشرقي (الصوفي، الهندي، البوذي) وبين العمق المسيحي الإنجيلي وبين التساؤلات الفلسفية الغربية. هذا المزج جعله نصًا جامعًا يقرأه القارئ الأوروبي كما العربي، كما يجد فيه الباحث الشرقي مثل الغربي معاني عميقة متصلة بالإنسان.

تظهر القيمة العالمية للكتاب أيضًا في تركيزه على موضوعات الحب والصمت والحرية والزمن. هذه ليست قضايا محلية أو مرتبطة بدين محدد، بل هي قضايا وجودية يواجهها كل إنسان. من هنا، صار الكتاب قابلاً للترجمة والتداول عالميًا، حيث تُرجم إلى لغات عديدة ووجد صداه في الدوائر الروحية والفلسفية في الغرب.

إن نعيمة لم يكن يكتب من منطلق الوعظ أو الدعوة إلى مذهب، بل من منطلق الخبرة الروحية الداخلية، وهذا ما يفسر لماذا رأى فيه أوشو نصًا قريبًا من "الطاو تي تشينغ" أو "الأوبنشاد". فالقيمة العالمية للكتاب لا تأتي من كونه عربيًا أو مسيحيًا أو صوفيًا، بل من كونه إنسانيًا شاملًا يضع إصبعه على جوهر المعاناة والبحث الروحي عند كل البشر.

القيمة العالمية لكتاب مرداد تتجلى أيضًا في كونه جسرًا بين الشرق والغرب. فالشرق، بتقاليده الروحية العميقة، لطالما قدّم نصوصًا خالدة مثل كتاب الحكيم لاوتسه أو نصوص اليوغا الهندية. أما الغرب، فظل يبحث عن معانٍ فلسفية توازن بين العقل والروح. جاء مرداد ليقدّم تجربة شرقية-غربية معًا، صاغها نعيمة بلغة شاعرية يمكن للقارئ الغربي أن يتذوقها، ولغة روحية يمكن للقارئ الشرقي أن يتأملها.

القسم الخامس:
القيمة العالمية لكتاب مرداد

على المستوى التربوي، يشكّل الكتاب مرجعًا ملهمًا لتجارب التنمية الروحية والذاتية في العالم اليوم. في زمن طغيان المادية، يفتح مرداد بابًا نحو الصمت الداخلي الذي يقود إلى الحرية الحقيقية. وفي زمن كثرت فيه الصراعات الدينية، يذكّر بأن جوهر الرسالات جميعًا هو الحب والمعرفة والوحدة.

أما من حيث التأثير الثقافي، فإن مرداد أسهم في تغيير صورة الأدب العربي عالميًا، إذ لم يعد الأدب العربي محصورًا في الشعر أو الرواية الواقعية، بل أصبح قادرًا على إنتاج نصوص روحية تضاهي الكتب المقدسة الكبرى في تأثيرها. من هنا تأتي القيمة العالمية:

إنه إسهام عربي في الفكر الكوني، يقف جنبًا إلى جنب مع الإنجيل والطاو والفيدانتا.

باختصار، القيمة العالمية لكتاب مرداد هي أنه كتاب للإنسان بما هو إنسان، لا يميز بين دين أو عرق أو لغة. إنه نص يتجاوز الانقسامات ليذكّرنا أن في أعماقنا جميعًا تكمن الحقيقة، وأن دور الكلمات – كما قال أوشو – هو أن تقرّبنا من اللامرئي وتفتح أعيننا على الأبدية.

الخاتمة

حين نتأمل في كتاب مرداد لميخائيل نعيمة ندرك أننا لسنا أمام نص عابر أو مجرد عمل أدبي آخر، بل أمام رحلة روحية وفكرية متكاملة، تحاول أن تفتح للإنسان أبوابًا لم تكن مطروقة من قبل. نعيمة لم يكتب مرداد ليكون مجرد خطاب فلسفي أو وعظ ديني، بل كتبه ليكون مرشدًا داخليًا، نصًا يدعو القارئ إلى أن يصغي لصوت الصمت ويبحث عن الحقيقة في أعماقه.

لقد كشفنا عبر الدراسة كيف استطاع نعيمة أن يجعل من مرداد نصًا جامعًا بين الحكمة الشرقية والروحانية المسيحية والتساؤل الفلسفي الغربي، بحيث غدا مرجعًا عالميًا يقف جنبًا إلى جنب مع النصوص الكبرى التي أثرت في الوعي الإنساني. رأينا أيضًا كيف أشاد أوشو بالكتاب واعتبره من النصوص القليلة التي يمكنها أن تقرّب الإنسان من عالم الغيب بالكلمات، مما يضعه في مرتبة الكتب المقدسة أو الحكمية الكبرى.

وفي المقابل، تناولنا أسباب التعتيم أو تجاهل الكتاب في العالم الإسلامي، حيث اصطدم بواقع محافظ لم يكن مستعدًا لاستقبال خطاب روحي حرّ يتجاوز الأطر الدينية التقليدية. إلا أن هذا التعتيم لا يقلل من قيمة الكتاب ولا من قدرته على الإلهام، بل لعله يزيد من فضول القارئ الباحث عن الحقيقة، ويدفعه إلى إعادة اكتشاف النص بنفسه.

إن القيمة الكبرى لمرداد تكمن في أنه كتاب متجدد، يظل حيًا مهما تغيّر الزمان أو المكان. كل جيل يعيد قراءته يجد فيه إشارات جديدة ورسائل خاصة تناسب حاجاته وأسئلته.

الخاتمة

إن مرداد ليس كتابًا يُقرأ مرة واحدة وينتهي أثره، بل هو رفيق درب طويل، يُعاد قراءته مرات عديدة، وفي كل قراءة ينكشف وجه جديد من معانيه. وهذا سرّ الكتب الخالدة: أنها تظل تُلهم وتفتح أبوابًا لم يطرقها القارئ من قبل.

في عالم اليوم الذي تغلب عليه المادية والصراعات والانقسامات، يقدّم مرداد دعوة إنسانية ملحّة إلى الحب والوحدة والحرية الداخلية. إنه يذكّرنا أن الحقيقة لا تُختصر في مؤسسة أو مذهب، بل هي نهر جارٍ في قلب كل إنسان. هذا النداء الكوني يجعل الكتاب يتجاوز كل حدود ثقافية أو دينية أو جغرافية.

من هنا يمكن القول إن مرداد يشكّل إسهامًا عربيًا عالميًا في مسيرة الحكمة الإنسانية. فإذا كان جبران قد قدّم في النبي خطابًا شعريًا عن القيم الإنسانية، فإن نعيمة في مرداد ذهب أبعد، ليخوض غمار التجربة الروحية الصافية التي تضع القارئ أمام مواجهة مباشرة مع أسئلة الوجود الكبرى.

وفي الختام، يبقى كتاب مرداد دعوة مفتوحة للإنسان المعاصر:

أن يخرج من ضجيج العالم إلى صمت قلبه، أن يبحث عن الحرية في داخله لا في الخارج، وأن يدرك أن الحب والمعرفة هما الجسر الحقيقي إلى الخلود. ومن هنا، فإن أهمية الكتاب ليست في ماضيه فقط، بل في حاضره ومستقبله، لأنه كتاب للإنسانية جمعاء، وللأرواح التائقة إلى النور مهما اختلفت أديانها وألسنتها.

المراجع

📚 قائمة المراجع

كتب ميخائيل نعيمة

- نعيمة، ميخائيل. (1948). كتاب مرداد. بيروت: دار العلم للملايين.
- Naima, M. (1948). The Book of Mirdad. Beirut: Khayats.
- نعيمة، ميخائيل. (1959). سبعون (ثلاثة أجزاء). بيروت: دار العلم للملايين.
- نعيمة، ميخائيل. (1923). الغربال. بيروت: المطبعة الأدبية.

كتب ومصادر مرتبطة بجبران

- جبران، خليل. (1923). النبي. نيويورك: Alfred A. Knopf.
- Gibran, K. (1923). The Prophet. New York: Alfred A. Knopf.

أوشو

- Osho. (1974). The Book of Secrets. Pune: Osho International Foundation.
- Osho. (1978). The Hidden Harmony: Discourses on the Fragments of Heraclitus. Pune: Osho International Foundation.
- Osho. (1980). Talks on The Book of Mirdad. Pune: Osho International Foundation.

دراسات نقدية عربية

- داغر، يوسف أسعد. (1985). معجم المؤلفين اللبنانيين. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- الجيوسي، سلمى الخضراء. (1997). الاتجاهات والحركات في الأدب العربي الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- نبي، وداد. (2014). "الميول الصوفية في كتاب مرداد". مجلة الفكر المعاصر.

دراسات أجنبية

- Raine, K. (1982). The Inner Journey of Writers. London: Thames & Hudson.
- Washington, P. (1995). Madame Blavatsky's Babes. London: Peter Owen Publishers.
- Moore, J. (1991). Gurdjieff and the Spiritual Search. London: Routledge.

مصادر إلكترونية

- OSHO International. (n.d.). Osho Library Online. Retrieved from: https://www.osho.com
- مقالات متفرقة عن ميخائيل نعيمة وخليل جبران في موقع الآداب ومجلات فكرية عربية.

إقرأ أيضاً



أضغط هنا

للمزيد من منشوراتي على مكتبة نور

أضغط هنا

ولا تحرمنا من تقييمك



شكرًا لاهتمامك .. نأمل بأن محتوى الكتاب قد نال أعجابك .. مع خالص دعواتنا لك أن تستفيد منه قدر الإمكان ..
وشكرًا لتعاونكم....

روابط مواقع قد تنال إهتمامك:

مدونة رواد الأعمال	مدونة الصحة (إنجليزي)
مقالاتي في موقع أموالي	أسرار التسوق من على اكسبرس
مقالاتي في موقع (مديم) إنجليزي	موقع تبادل بانرات
أفضل موقع زيارات متوافق مع ادسنس	بروفايلي على بلوغر
للتواصل معنا	افضل موقع زيارات المواقع

